// ما بين المسرح والسينما.. والكاميرا ورهبتها

أنا أحب كل ما يتعلق بالعمل الفني وبالذات المسرح، ولدّي قبول لأجرب العمل السينمائي، مع أنه طلب مني، لكنني كنت أرفض ولم أوافق وذلك نابع من الخوف، بعد نجاحي الكبير في المسرح أخاف من الفشل في السينما، لذلك لا أريد سينما أريد مسرح، مع هذا كانت لي تجربة متواضعة في السينما، في فيلم "عيد ميلاد ليلى"، "حدوتة صغيرة"، وشاركت بدور صغير في فيلم "المرّ والرمان" رغم أنه لم يثر اهتمامي لأن ما قرأته لم يتطابق مع أحداث الفيلم، ولدّي طاقة مخفية أثناء التصوير بشهادة الجميع، لم يظهر منها شيء في الفيلم وهذا أعطاني ضوء أحمر للعمل في السينما؛ لهذا يجب على المخرج أن يقتنع بوجود ضرورة هذه الطاقة في الفيلم وأهميتها، ومع ذلك إذا أردت المقارنة والحديث عن هذه المقارنة فإنني أقول أن تجربتي التلفزيونية في العام 2005 كانت أفضل من تجربتي السينمائية، لأني قدمت شخصية في أول مسلسل فلسطيني أنتجته شركة "معاً الإعلامية" في مدينة بيت لحم" وهي شخصيةٌ راضيةٌ عنها وعن عملي في بداية المسلسل وأثناء العمل وخلال التصوير وكذلك العمل مع المخرجة رائدة أبو غزالة.

بصراحة الكاميرا لا تجذبني ويجوز أنني لا أجذبها أيضًا. وأؤمن إذا كان لدّي شيئاً جيداً ورائعاً في السينما لا بد أن يكون هناك المخرج المبدع والأروع الذي يجد بي هذا الشيء، وإذا لم يكن موجودًا فلن يكون لدّي هذا الإبداع، وأنا أبحث عن الشيء المتميز والمبدع.

// إذن ثمة فرق بين المسرح وشاشة السينما؟

تجربتي المتواضعة في السينما علمتني تقنيات الفن المرئي وأصبحت لدي فكرة عن الأمور، فأنا أحب المعرفة. وأؤمن أن الجمال في المسرح ليس فقط بالوقوف على الخشبة، بل في مراحل العمل والمراجعات، وهذه يفترض أن تكون من أجمل مراحل الإنتاج الفني لأنه صعب إقناع الناس أنك سعيد على المسرح.

// مادة من الهم إيصالها إلى الجمهور..

الأسيرات ليست فكرة طرأت بخاطري، وليس دورًا سأؤديه على خشبة المسرح فقط لمجرد الأداء والعرض، وإنما هو موضوع أريد أن أتحدث عنه وان أساهم في وضع هذه القضية محط اهتمام دائم أمام المشاهد أو أمام الإعلام من خلال المسرح، فموضوع الأسرى يثير اهتمامي منذ صغري، ومن ثم يكبر السؤال ليشمل كافة المواضيع التي تتعلق في الأسر وفي العودة، وأحد الهموم التي تشغلني هم الأسرى السياسيين؛ حين بدأت البحث في هذا الموضوع قبل عام ونصف، اهتممت بمعاناة الأسرى الأطفال والنساء، وكوني امرأة يمكنني أن أقدم شيئًا عن الأسيرة التي من خلالها أتطرق لقضايا الأسرى في فلسطين وخارجها.

كثيرة هي المقالات والكتب والأبحاث التي تُكتب عن هذا الموضوع في واقع لا نزال نعيشه، ومستمر بشكل صعب وله تبعات غير متناهية في حياتنا اليومية، وهو جزء كبير من حياة الشعب الفلسطيني، لا يمكن فصله عن الواقع الذي نعيشه المنطقة، فمنذ العام 1967 وحتى اليوم تم اعتقال ما يقارب الـ 700،000 ألف فلسطيني بمعنى 20٪ من الشعب الفلسطيني دخلوا المعتقلات، بمعنى لم يخلو بيتاً فلسطينيا إلا ودخل أحد أفراده المعتقلات، هذه قضية تأثر بها المجتمع الفلسطيني.

وهذا التأثير الإنساني عبارة عن حالات وشخصيات ومادة من المهم إيصالها إلى الجمهور عن طريق المسرح.

خلال محاولات الكتابة عوتبت وهوجمت، لأن السهل والصعب درجات؛ فكثيرون يستسهلون فكرة وجود نص موجود يتطابق مع واقع سياسي أو اجتماعي ما، والخروج به كعمل. ومن هنا يأتي السؤال عن عدم وجود كتّاب مسرح، وهذا سؤال شرعي، لماذا لا نحاول الكتابة... لأنه صعب؛ لذلك نتجه للترجمات العبرية وهذا خطأ لدى منتجين هذه الأعمال، وهذا يبدو واضحًا حين ترى نصوص عمل مسرحي على المسرح ومن السهل جدًا أن نجد الضعف والوهن في النص.

في العمل المسرحي الأسيرات، كما ذكرت لم تكن فكرة وليدة الأمس، فأنا منذ أيلول من العام الماضي قررت أن أعمل عليها، ذلك بعد عودتي من إيطاليا، ورأيت من السخافة أن أقول أو أصرّح بأني سأقوم بعمل عن الأسيرات.

// التجربة تحمل وزنًا لا يقدر عندي بأي ثمن وبأي ميزانية!

بعد البحث، النقاش، الحديث، الدراسة، والقرارات وإعادة سماع القصص التي سجلتها، ولا زال لدي بعض اللقاءات التي أريد أن أجريها بما يخص هذا الموضوع، ووجدت ما لاتهاية من الجوانب التي يمكن لمسها في أي عمل فني سينمائي أو تلفزيوني أو مسرحي.

قضية الأسرى السياسيين ليست قضية سياسية فحسب بل قضية إنسانية أيضا من الدرجة الأولى لأنها تحاول انتزاع من الإنسان حقه الأساسي في التفكير والدفاع عن حقه، ثم ما يأتي من وراء هذا الاعتقال من تبعات إنسانية خطيرة على عائلات المعتقلين وبالتالي على مجمل تطلعات الشعوب بالتحرر.

عدة قضايا ما قبل الاعتقال، لحظة الاعتقال، التحقيق، سنوات الاعتقال، وما بعد الاعتقال. وبصراحة خطرت لي الكثير من التفاصيل، لكني كإنسانة تعرف المسرح فقط، قررت بعد إطلاعي على المواد التي بحوزتي أن أقوم بعمل عن جولات التحقيق، وما بعد التحقيق، ولدي تخطيط للمستقبل ما دام في السجون معتقلين سياسيين وكم هائل منهم، ولديهم أطفال يشتاقون إليهم وأمهات لا ترى أولادها، السجن المؤبد والحرمان من كل المعاني الإنسانية وهي حق أعطته الطبيعة ولا قوانين جنيف ولا إسرائيل ولا أي دولة يمكنها أن تسلبنا هذا الحق؛ وطرحها شيء مهم رغم صعوبتها وتحتاج إلى شجاعة، مرات كثيرة كنت أشعر بالخوف وكذلك أولادي تخوّفوا من الفكرة، والأجواء في البيت لم تكن سهلة، في البداية احتجت إلى الجرأة، والقناعة، والإيمان بالمبدأ، ورأيت أن المسرح هو المكان للحديث عن هذا القضية.

اخترت التحقيق لكشف ما يتعرض له هؤلاء المعتقلين، لأن كل الأسرى بالمجمل يتعرضون لنفس أنواع وأشكال التعذيب